العربية أداة طبيعية لنشر الفكر الاسلامي

للأستاذ ميشون
(جنيف)

(تجدون في غير هذا المكان النص الاصلي باللغة الفرنسية لهذا البحث)

ان الارتباط بين انتشار كل من اللغة العربية والاسلام مظهر بديهي، الا ان طبيعة ومدى هاته الرابطة لا يمكن ادراك غورها الا اذا سلمنا بفكرة « تدبيرات العناية الالهية » والتخطيطات الربانية والحكمة الخالدة التي سبقت بأزليتها تحقيق المعطيات التاريخية في هذا العالم . فليس هنالك بمقتضى هذه الفكرة مجال للصدفة لان العربية قد اختيرت كلغة للقرءان بفضل الخصائص والمزايا التي هيأتها لتكون اداة مواتية لاداء هذه الرسالة .

وفي نفس الوقت اضفت الصبغة العالمية لهذه الرسالة على العربية نوعا من قوة الانتشار لا تتمتع به اية لغة اخرى . فالمسلمون من صينيين وملويين وفرنسيين عندما يؤكدون تعلقهم بالاسلام يستعملون الفاظا عربية لانها تعبر عن قوة معنوية بدهت أرواحهم وقلوبهم .

ومن الجلي انه لولا الاسلام لما عرفت العربية ذلك الذيوع الذي اكتسبته بفضل الفتوح ورسل الدعوة وافواج العلماء الذين نشروا علم اللغة لاسباب دينية في جوهرها . وقد كانت العربية من جهة أخرى الاداة التي تفضلت بها العناية الالهية لتحقيق هذا الانتشار، ولحمل رسالة الاسلام الى جميع الآفاق مع الاحتفاظ لها بالتماسك والوحدة . ومن ابرز مظاهر هذا الارتباط نسبة تأثير البيئة الجغرافية والملابسات التاريخية . واذا كنا نلمس أثر معالم الاسلام على الافراد والمجتمع، واذا كانت هذه المعالم لم تتغير على مدى الاحقاب فان ديموميتها ناتجة جوهريا عن طبيعة القرءان الذي « لا يخلق على كثرة الرد » وعن الصيغ والآيات والدعوات الدينية التي ينطق بها بلغة الضاد كل مسلم أينما كان.

وقد شعر المسلمون ، وخاصة في القرون الاولى، ومن بينهم العجم ان الدراسات اللغوية تساعد على تفهم رسالة القرءان سواء في مدلولها الظاهر أم في مغازيها الباطنة الصوفية .

ومن هنا انبثقت ابحاث مدرستي البصرة والكوفة في فقه اللغة والنحو والبيان . فلهذا توجد علاقة بين الابحاث اللغوية وبين المظاهر الاخرى وخاصة منها الدينية (كعلم الكلام وحركة الطرق الصوفية) ، كما يتجلى ذلك في ازدهار الابحاث الدينية والصوفية في نفس الوقت الذي ازدهرت فيه المصنفات الادبية في ابرز عصور الحضارة العربية الاسلامية بالاندلس وافريقية الشمالية او بالشرق . الا ان هذه الرابطة ليست مطلقة ولا لازمة كما يشهد بذلك الوضع في اقطار غير عربية (تركيا والجزر الهندية) اشتهرت بقوة ايمانها دون ان تتعرف على لغة الضاد بها سوى أقلية من العلماء . اضف الى ذلك وضعية الثقافة العربية الحديثة التي تستلهم من الغرب البعيد عن الاسلام .

اما في خصوص تأثير العربية على اللغات واللهجات الاخرى فقد كان قويا اذا اعتبرنا وفرة المصطلحات الدينية والافكار المجردة والالفاظ العلمية المقتبسة من العربية في التركية والفارسية والاردية والملوية .

وأرى ان العربية يجب ان تكون لغة منتقاة في التدريس بفرنسا كلغة ثانية سوية مع الالمانية والانجليزية .